قُصَّةُ ابنَي آدم (دراسةٌ لُغَويَّةٌ)

المدرس: محمد حسين علي

جامعة كربلاء/ كليّة التّربية

الملخص:

يسلِّطُ هذا البحثُ الضّوءَ على إحدى قصصِ القرآنِ الكريم، ألا وهي (قصّة ابنَي آدم) التي تجمعها الآياتُ: السّابعةُ والعشرون، والثّامنة والعشرون، والتّاسعة والعشرون، والثّلاثون، والحادية والثّلاثون من سورة المائدة المباركة، وستكون الدّراسة اللغويّة هي المرتكز الّذي يقوم عليه هذا البحثُ، لذا اقتضت طبيعةُ الدّراسة أن يتمَّ تقسيمُ البحثِ على عِدَّةِ محاور، هي: معجم القصّة، القضايا اللغويّة، القضايا الصّرفيّة، القضايا النّحويّة، القراءات القرآنيَّة، المعنى العام للقصّة، الدّروس والعِبَر، ثُمَّ خاتمة تضمَّنت أهمَّ النّتائج الّتي توصَّلَ إليها البحثُ.

المقدّمة :

الحمدُ لله العلي الأعلى، الذي قدّر فهدى، أحمدُه على ما خوَّلَ وأعطى، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاّ الله عالمُ السِّرِ والنّجوى، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُه ورسولهُ المجتبى، صلى الله عليه وسلّم وعلى آلهِ الأطهار وصحبه ومَن على سبيلهم اقتفى.

أمّا بعد؛ فتُعَدُّ هذه القصة من القصص غير المتكرّرة في القرآن الكريم، وتنطوي على أهدافٍ أو بؤر فكريّة لها أهميتها في ميدان السلوك العبادي والفردي والاجتماعي، إذ عُدَّت إرهاصًا أو مقدمة أو تمهيدًا لمبدأ اجتماعيّ يتّصل بحياة الناس ومماتهم، ولمبدأ نفسي يتصل بالنزعة العدوانية فضلاً عن إبراز واحدة من أهم النزعات وهي الحسد، مضافًا إلى نزعات أخرى مثل الأنانية[١].

وهذه القصة تجمعها الآيات: السابعة والعشرون والثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون والثلاثون والحادية والثلاثون من سورة المائدة المباركة، والسورة كاملة تتناول كسائر المدنيّة جانب التشريع بإسهاب إلى جانب موضوع العقيدة وقصص أهل الكتاب، وهذه القصة ليست الوحيدة في السورة فقد جاءت قبلها قصة بني إسرائيل مع سيدنا موسى (عليه السلام) بعد نجاتهم من فرعون، وهي قصة ترمز إلى التمرّد والطغيان ممثّلة في هذه الشرذمة الباغية من اليهود حيث قالوا لرسولهم: [فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ](المائدة/٢٤)، وما حصل لهم من التشرد والضياع إذ وقعوا في أرض التيه أربعين سنة[٢]. "ثم جاءت قصة ابني آدم التي تقدّم نموذجاً لطبيعة الشرّ والعدوان،

ونموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له، كما تقدّم نموذجاً لطبيعة الخير والسماحة ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة، وتقفهما وجهاً لوجه، كلٌّ منهما يتصرف على وفق طبيعته.. وترسم الجريمة النكراء التي يرتكبها الشرّ، والعدوان الصارخ الذي يثير الضمير ويثير الشعور بالحاجة إلى شريعة نافذة بالقصاص العادل تكفُّ النموذج الشرير المعتدي عن الاعتداء ، وتخوّفه وتردعه بالتخويف عن الإقدام على الجريمة، فإذا ارتكبها– على الرغم من ذلك – وجد الجزاء العادل المكافئ للفعلة النكرة، كما تصون النموذج الطيّب الخيّر وتحفظ حرمة دمه فمثل هذه النفوس يجب أن تعيش وأن تصان، وأن تأمن في ظل شريعةٍ عادلةٍ رادعة"[٣].

"ووجه اتصال هذه القصة بما قبلها التنبيه من الله على أنَّ ظلم اليهود ونقضهم المواثيق والعهود هو كظلم ابن آدم لأخيه فالداء قديم والشرّ أصيل"[٤]. والمعنى: إن هَمَّ هؤلاء اليهود بالفتك بك يا محمّد فقد قتلوا قبلك الأنبياء، وقتل قابيل هابيل، والشرّ قديم، أي: ذكّرهم هذه القصّة فهي قصة صدق لا كالأحاديث الموضوعة، وفي ذلك تبكيت لمن خالف الإسلام وتسلية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)[٥].

وهنالك مسألة مهّمة لا بُدَّ من الإشارة إليها ألا وهي تحديد اسمي ابني آدم الواردين في القصة، وقد ذكرتُ سلفًا اسميهما نقلاً عن أغلب التفاسير وإن كان هنالك خلاف في هذه المسألة، فالسياق القرآني لم يحدد الزمان أو المكان أو أسماء الأشخاص الواردين في القصة، على الرغم من ورود بعض الآثار والروايات عن (قابيل وهابيل) وإن كانت تلك الروايات كلها موضع شك في أنها مأخوذة عن أهل الكتاب، والقصة واردة في العهد القديم[٦] محددة فيها الأسماء وكذلك زمانها ومكانها على النحو الذي تذكره هذه الروايات، والحديث الوحيد الصحيح الوارد عن هذا النبأ لم يرد منه تفصيل وهو رواية ابن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٧]: ((لا تُقتل نفسٌ ظلمًا إلاّ كان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها؛ لأنَّه كان أولَ مَنْ سَنَّ القتلَ))، وكل ما استطيع أن أقوله هو أنَّ الحادث وقع في فترة طفولة الإنسانيَّة وإنّه كان أول حادث قتل عدواني متعمّد وإنَّ الفاعل لم يكن يعرف طريقة دفن الجثث[٨].

ومع هذا سأشير إلى أسماء شخصيات القصة كما ذكرها أصحاب أغلب التفاسير من باب التشخيص وليس من باب الاعتماد على روايات أهل الكتاب، لأنني لستُ بصدد كتابة بحث تأريخي إنما هو بحث لغوي والفائدة من ذكر أسماء الشخصيات لغرض ترتيب البحث وترتيب لغة

الحوار بين أطراف القصة، وأترك هذه الخلافات حول الأسماء لمن أراد البحث من ناحية تاريخيّة ،وقد عنونت هذا البحث بـ(قصة ابني آدم–دراسة لغوية–) الذي اقتضت طبيعة دراسته أن أقسّمه على ستة مطالب تتقدّمها هذه المقدّمة، والمطالب الستة هي:

١– معجم القصة.
٢– القضايا اللغوية.
٣– القضايا الصرفية.
٤– القضايا النحوية.
٥– القراءات القرآنية.
٦– المعنى العام.

ثم كانت هنالك وقفة مع (الدروس والعبر) المستنبطة من القصة، وختمت البحث بخاتمة بيّنت فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، والحمدُ لله من قبل ومن بعد .

((نص القصة القرآني))

[وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ {٢٧} لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {٢٨} إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ {٢٩} فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ {٣٠} فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ].

معجم القصة

عقدت هذا المطلب لتفسير ما اعتقد استحباب تفسيره من كلمات هذه القصة التي بها بحاجة إلى بيان – فيما أرى – وقد رتّبت هذه الكلمات بحسب تسلسلها في القصة:

١. اتل: فعل أمر ماضيه (تلا) وأصله في اللغة (تَبِعَ)، وتلوته أتلوه وتلوتُ عنه تُلُوّاً.. وتلوته تُلُوّاً: تبعتهُ.. تلا إذاً اتبّع فهو تالٍ أي: تابع[٩]، والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزّلة تارةً بالقراءة وتارةً بالارتسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب، والتلاوة أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة ،لا يُقال: تلوتُ رفعتك وإنّما يُقال في القرآن في شيء إذا قرأته وجب عليك اتباعه، قال تعالى: [وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا]

(الأنفال/٣١).. فهذا بالقراءة، وأما قوله جلّ وعلا: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ] (المائدة/٢٧)، فاتباع له بالعلم والعمل[١٠].

٢. نبأ: النبأ هو الخبر، تقول: نبأ ونبّأ، إي: أخبرَ والجمع أنباء وإنَّ لفلانٍ نبأً أي: خبراً[١١]. والنبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علمٌ أو غلبةُ ظنٍّ، ولا يُقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمّن هذه الأشياء الثلاثة، ولتضمُّن النبأ معنى الخبر يُقال: أنبأته بكذا كقولك: أعلمته كذا، قال تعالى: [عَمَّ يَتَسَاءلُونَ {١} عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ {٢} (النبأ/٢،١)، فتنبيه أنّه إذا كان الخبر شيئاً عظيماً له قدر وحقّه أن يتوقف فيه، وإن عُلِمَ وغلب صحته على الظن حتى يعاد النظر فيه ويتبيّن[١٢].

٣. آدم: هو أبو البشر[١٣]، يقول أهل اللغة: إنّ اشتقاقه من أديم الأرض؛ لأَنَّه خُلِقَ من تراب، وكذلك الأدْمة إنما هي مشبّهة بلون التراب، يُقال: رجل آدم أسمر[١٤].

٤. قُربان: هو مصدر الفعل (قَرُبَ)، والقرب ضد البعد[١٥]، وقَرُبَ الشيء يَقْرُبُ قُرْباً وقُرْباناً وقِرباناً أي: دنا، فهو قريب، والتقرب: التدني إلى شيء، والتوصل إلى إنسانٍ بقُرْبةٍ أو بحقٍّ[١٦]. والقُربان بالضم : ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تبتغي بذلك الوسيلة والقُربة، وصار في التعارف اسماً للنسيكة التي هي الذبيحة وجمعه قرابين[١٧]، قال تعالى: [حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ] (آل عمران/١٨٣).

٥. باسط: أصله من (بسط)، والبسط نقيض القبض[١٨]، بسطه يَبْسُطُه بَسْطاً فانبسط وبسَّطه فتبسَّط.. وبسط فلانٌ يده بما يحبُ ويكره، وبسط إليَّ يده بما أُحبُّ وأكرهُ، وبسطها مَدَّها[١٩]، قال تعالى: [كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ] (الرعد/١٤)، و(الباسط) من أسماء الله تعالى، هو الذي يبسطُ الرزق لعباده ويوسّعه عليهم بجوده ورحمته ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة[٢٠].

٦. تبوء: أصله من (باء) إلى الشيء يبوءُ بَوْءاً: رَجَعَ، وبُؤتُ إليه وأبأته.. وباء بذنبه وبإثمه يبوء بَوْءاً وبواءً: احتمله وصار المذنب، وقيل: اعترف به[٢١]، وباء بإثمه: إذا أقرَّ به.. وأبوءُ بذنبي أي ألتزم وأرجع أُقِرُّ، وأصل البواء اللزوم[٢٢]. وقوله تعالى: [إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ] (المائدة/٢٩) معناه: إن عزمتَ على قتلي كان الإثم بك لا بي، أي: رجع إليك والتزمته وتتحمّله[٢٣].

٧. طوَّعت: ومعناه في أصل اللغة من الطَّوْع أي: الانقياد، ويضادُّهُ الكُرهُ[٢٤]، يُقال: طاعَهُ يَطوعُه وطاوعه والاسم الطّواعة والطّواعية، وطاع له إذا انقاد له، فإذا مضى لأمره فقد أطاعه، وإذا وافقه فقد طاوعه.. وطوَّعت له نفسه من الطَّوْع، أي: انها أعانته على ذلك وأجابته إليه وجعلت نفسه بهواها المُودي قتلَ أخيه سهلاً وَهَوَّنته[٢٥].

٨. يواري: أصله مأخوذ من (وَرِيَ) ووارِيتُ الشيء، أي: أخفيته، وتوارى استتر[٢٦]، ويقال: واريْتُه ووَرَّيتهُ بمعنى واحد[٢٧]، وقيل: أصله من (الوراء) أي: ألقى البيان وراء ظهره، وكأنَّه مأخوذ من وراء الإنسان لأنَّه قال ورَّيته فكأَنه يجعله وراءه حيث لا يظهر[٢٨].

٩. سوأة: أصلها من (سوأ)، ساءَه يَسُوءَهُ سَوْءاً وسُوْءاً وسَواءً وسواية وسوائية.. فعل ما يكره.. والاسم السُّوء بالضم[٢٩].. والسوأة: العورة والفاحشة، والسَوأة السواء: الخلّة القبيحة[٣٠]،والمقصود بـ(السوأة) هنا هي جثة أخيه لما فيها من داعي الألم في نفس القاتل، والرائحة المنتنة التي آلت إليها، والتذكير ببشاعة الفعل وفي دفنها ما لا يخفى من ستر ذلك.

مما تقدم نلحظ أنَّ هنالك توافقاً إلى حد ما بين الدلالة السياقية للكلمة القرآنية وبين الدلالة الأصلية لها في أصل الوضع اللغوي .

القضايا اللغويّة

أُناقش في هذا المطلب ما كان في القصة من الضمائر والأعلام وأسماء الإشارة والنكرات والمعارف والظروف التي تقتضي الدرس وما يقتضي الدراسة من بقية الأدوات وحروف المعاني.

ولا يخفى أنَّ الضمائر والأعلام وأسماء الإشارة والمعرّف بـ (أل) والمعرّف بالإضافة تندرج في ما اصطلح عليه باسم (المعارف)، وسأعمل على إيرادها على هذا التسلسل ثم أعقب ذلك بالنظر فيما في القصة من نكرات وظروف وأدوات وحروف المعاني.

أولاً/ الضمائر:

ألفاظ الضمائر كثيرة فهناك ضمائر الرفع المنفصلة والمتصلة: البارزة والمستترة، وضمائر النصب المنفصلة والمتصلة وضمائر الجر ولا تكون إلاّ متصلة. فمن ضمائر الرفع المنفصلة الواردة في القصة (أنا) في قوله: [مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ] وهو ضمير يُعَبَّر به عن المتكلّم ذكراً كما في الآية: [أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ] (يوسف/٥١)، وهو في اسم (ما) على لغة أهل الحجاز ومبتدأ على لغة تميم[٣١]، ومن ضمائر الرفع المتصلة الألف في قوله [قَرَّبَا] وهو ضمير يعبّر به عن اثنين ذكرين كما في الآية أو اثنتين كما في قوله تعالى: [لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء] (القصص/٢٣) والتاء في قوله [بَسَطتَ] وهي إذا كانت مفتوحة للدلالة على المفرد المذكر المخاطب كما في الآية. والتاء في [أَعَجَزْتُ] وهي إذا

كانت مضمومة للدلالة على المفرد المتكلم ذكراً كما في الآية أو مؤنثاً كما في قوله سبحانه: [إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا](مريم/٢٦)، أمّا الضمائر المستترة فتُقسم على قسمين:

١- واجبة الاستتار وهي في القصة:
أ- ضمير المفرد المتكلم في قوله: (لَأَقْتُلَنَّكَ، مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ، لَأَقْتُلَكَ، أَخَافُ، أُرِيدُ، أَكُونَ، فَتَكُونَ).

ب- ضمير المفرد المخاطب في قوله: (اتْلُ، لِتَقْتُلَنِي، تَبُوءَ، فَتَكُونَ).

٢- جائزة الاستتار : وهي في القصة ضمير المفرد الغائب في قوله: (قَالَ، فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ، يَبْحَثُ، لِيُرِيَهُ، يُوَارِي).

وأمّا ضمائر النصب المتصلة فمن المتكلم (الياء) في قوله: (لِتَقْتُلَنِي) و(إِنِّي) ومن المخاطب (الكاف) في قوله: (لَأَقْتُلَنَّكَ) ومن الغائب (الهاء) في قوله (فَقَتَلَهُ) و(لِيُرِيَهُ) ومن الضمائر المتصلة المجرورة بالإضافة (ياء المتكلم) في قوله: (يَدِيَ) و(إِثْمِي) و(أَخِي) و(كاف الخطاب) في قوله: (يَدَكَ) و(إِثْمِكَ) و(هاء الغيبة) في قوله: (أَحَدِهِمَا) و(نَفْسُهُ) و(أَخِيهِ/ مرتان) ومن الضمائر المتصلة المجرورة بحرف الجر (ياء المتكلم) في قوله: (إِلَيَّ) و(لكاف الخطاب) في قوله: (إِلَيْكَ) و(ضمير الغائب) في قوله: (عَلَيْهِمْ) و(لَهُ).

ثانياً/ الأعلام:

ورد في القصة من أسماء الأعلام لفظ الجلالة (الله) ثلاث مرات ولفظة (آدم) مرة واحدة، و(آدم) اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على (فاعل) كـ (آزر) و(عازر) و(عابر) و(شالخ)... واشتقاقهم آدم من أديم الأرض أو من الأدمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وإبليس من الإبلاس[٣٢].

أما لفظ الجلالة (الله) فأصله (الإله) ونظيره (الناس) أصله (الأناس) حُذفت الهمزة وعُوّض منها حرف التعريف، والإله من أسماء الأجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وأما (الله) بحذف الهمزة فمختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة لأنك تصفه ولا تصف به لا تقول: شيء إله كما لا تقول: شيء رجل، وتقول: الله واحد صمد ولأن صفاته تعالى لا بُدَّ لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات لبقيت صفات غير جارية على اسم موصوف بها وذا لا يجوز، ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد بن الحسن والحسين بن الفضل. وقيل: معنى

الاشتقاق أن يتّنظم الصيغتين فصاعداً معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم: إله إذا تحير ينتظمها معنى التحير والدهشة وذلك أنَّ الأوهام تتحيّر في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح وقيل: هو من قولهم أله يأله إلاهاً إذا عبد، فهو مصدر بمعنى مألوه أي: معبود كقوله تعالى: [هَذَا خَلْقُ اللَّهِ] (لقمان/١١)، أي: مخلوقه، وتفخّم لامه إذا كان قبلها فتحة أو ضمة وترقّق إذا كان قبلها كسرة، ومنهم مَن يُرَقّقها بكل حال، ومنهم مَن يفخّم بكل حال، والجمهور على الأول[٣٣].

ثالثاً/ أسماء الإشارة:

اسم الإشارة: ما يدلُّ على مُعَيّن بواسطة إشارة حسيّة باليد ونحوها، إن كان المشار إليه حاضراً أو إشارة معنوية إذا كان المشار إليه معنىً أو ذاتاً غير حاضرة[٣٤] وأسماء الإشارة كثيرة منها (ذا) وهو للمفرد المذكر تلحقه (ها) التنبيه الأول في أوله فيكون للقريب وتلحقه كاف الخطاب في آخره فيكون للبعيد وأكثر النحاة على أن مراتب الإشارة ثلاث: القرب والوسط والبعد، فللقربى (ذا) وتلحقها (ها) التنبيه كثيراً ، وللوسطى (ذا) مع الكاف أي (ذاك)، وللبعيد الكاف مع اللام أي (ذلك)[٣٥]، وقد ورد في القصة من أسماء الإشارة (هذا و ذلك) وقد جاء (ذلك) في قوله تعالى: [وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ] إرادة لبعد المشمولين به (الظالمين) عن الحق في الحياة الدنيا وعن رحمة الله في الآخرة والإشارة كما هو واضح معنوية. أما (هذا) فقد جاء في قوله: [أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ] فهو يشير إلى قريب منه يفعل ما يرشده إلى كيفية إخفاء سوأة أخيه (جثته) والعمل كله حسيّ والمشار إليه محسوس كما لا يخفى.

رابعاً/ النكرات:

وردت في القصة نكرتان الأولى قوله: [قُرْبَانًا] وهي نكرة مطلقة، والثانية قوله: [غُرَابًا] وهي نكرة خاصة وجهة الخصوص في هذه النكرة وصفها بالجملة الفعلية (يبحث).

خامساً/ المعرّف بالإضافة:

من المعلوم أنَّ الإضافة هي نسبة اسم إلى اسمٍ آخر واسناده إليه[٣٦] وهي على ضربين: محضة وغير محضة[٣٧].

وقد وردت جميع الأسماء المعرّفة بالإضافة في القصة إضافتها محضة وهي كالآتي:

١- (نبأ) مضاف إلى (ابنَي)

٢- (ابنَي) مضاف إلى (آدم)
٣- (أحد) مضاف إلى الضمير (هما)
٤- (يد) مضاف إلى (الكاف)
٥- (يد) مضاف إلى الضمير (الياء)
٦- (رب) مضاف إلى (العالمين)
٧- (إثم) مضاف إلى الضمير (الياء)
٨- (إثم) مضاف إلى الضمير (الكاف)
٩- (أصحاب) مضاف إلى (النار)
١٠- (جزاء) مضاف إلى (الظالمين)
١١- (نفس) مضاف إلى الضمير (الهاء)
١٢- (قتل) مضاف إلى (أخيه)
١٣- (أخ) مضاف إلى الضمير (الهاء)
١٤- (سوأة) مضاف إلى (أخيه)
١٥- (أخ) مضاف إلى الضمير (الهاء)
١٦- وأما (مثلاً) في قوله: [مِثْلَ هَذَا] فإنها لم تكتسب تعريفاً من جهة أنها من الكلمات التي لا تتعرّف بوجه ولا تخصّصها الإضافة[٣٨].
١٧- (سوءة) مضاف إلى (أخي)
١٨- (أخ) مضاف إلى الضمير (الياء)

سادساً/ الظروف:

ورد من الظروف ممّا ينبغي النظر فيه (إذْ) فقط من قوله: [إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا] وهي ظرف لما مضى من الزمان كما في الآية، وقد تكون ظرفاً لما يُستقبل من الزمان بمعنى (إذا) كما في قوله تعالى: [إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ] (غافر/٦٩-٧٠) وتكون (إذ) للتعليل وتكون للمفاجأة وتكون شرطيّة وتكون زائدة[٣٩]...

سابعاً/ الأدوات وحروف المعاني:

حوت القصة طائفة من الأدوات وحروف المعاني، وهذه بعض منها:

١- كيف: اسم استفهام يُسأل به عن حال المسند إليه حين أداء الفعل كما في الآية [لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ] فإنه رأى كيفية المواراة التي لم يكن يعرفها، فالمواراة فعلٌ يمكن معرفته لكن كيفية إخفاء الجثة كان يجهلها القاتل من ابني آدم وعنها عبّرت (كيف) في النص الكريم.

٢- على: حرف جر يفيد معنى الاستعلاء[٤٠] الحسيّ (الفوقيّة) والمعنوي (الرتبي) ولم يرد إلاّ مرة واحدة في القصة مراداً به المعنى الثاني في قوله: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ].

٣- إلى: أكثر معانيها شيوعاً انتهاء الغاية[٤١] وهو المقصود من ورودها في القصة مرتين بقوله: [إِلَيَّ] و[إِلَيْكَ].

٤- إنَّ: حرفٌ مشبّه بالفعل يقوّي نسبة ارتباط المسند بالمسند إليه[٤٢]، ومن أجل ذلك جعلوه حرف توكيد، وقد ورد مرتين في القصة بقوله: [إِنِّي] وفيهما كان المظلوم يريد أن يؤكد لأخيه حقيقتين ينسبهما إلى نفسه إحداهما خوفه من الله الذي يحول دون قتله أخاه ولو دفاعاً عن نفسه والذي كان السبب في قبول قربانه، والثانية تحذيره أخاه من أنَّ فعل القتل يفضي به إلى احتمال إثمه الذي حال دون قبول قربانه واثم المظلوم إذ[٤٣] (كل ابن آدم خطّاء) من جهة وهو موروده النار حتماً من جهة أخرى.

٥- إنّما: أداة مركّبة من (إنَّ) سابقة الذكر و(ما) الكافّة وكان لهذا التركيب في العربيّة وظيفتان إحداهما الحصر فقد أفادت في النص القرآني أنَّ قبول التقرّب إلى الله مقصور على المتّقين فهو لا يقبل قربانَ من لا تقوى في قلبه، والوظيفة الثانية أنّها صارت صالحة لتقوية ارتباط عناصر الجمل الفعليّة ببعضها مع أنّها كانت قبل التركيب لتقوية عناصر الجملة الأسمية فقط وهو واضح في النص الكريم.

٦- إنْ: حرف شرط في أكثر استعمالاته[٤٤]، وهي كذلك في القصة ومعنى شرطيتها أنّها تجعل الجملتين جملةً واحدةً من حيث الدلالة لأنها تجعل الأولى سبباً في حصول الثانية في مثل: إنْ تدرس تنجح. فكأنَّ النجاح موقوفٌ على الدراسة يوجد بوجودها وينعدم بعدمها، ولكنها في النص القرآني أفادت معنىً غير المعنى الذي سبق ذكره مجازاً من جهة أنَّ الأولى في النص: [بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي] ليست سبباً في انتفاء الثانية: [أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ] بل إنها هنا أعطت معنى الافتراض فهو يقول لأخيه: حتى لو صحَّ عزمك على قتلي فما أنا بالذي يردُّ عليك بمحاولةِ قتلك. فالشرطُ هنا خرج عن معناه إلى غرض الإثارة الوجدانية في نفس الأخ الظالم، والذي زاد في ذلك أثراً وأعطاه شحنة أقرب إلى الشاعريّة (اللام) الموطئة للقسم التي حملت على حذف جواب الشرط ووضع جواب القسم مكانه، ولك الآن أن تتخيل أنَّ الرجل يُقسم بالله أنّه لا يُحَدّث نفسه بقتل أخيه ولو بلغت القسوة في الأخ حدَّ تنفيذ ما هدّد به وفي هذا من محاولة ايقاظ معنى الأخوّة في نفس ظالمه ما لا يفي به غير أمثال هذا التعبير.

٧- أنْ: حرف نصب مصدري في القصة الكريمة ولها استعمالات أخرى تنظر في مظانها[٤٥]. وهي وما بعدها في تأويل المصدر والسرّ في أنّه سبحانه أوردها مع الفعل ولم يورد المصدر مكانهما أنَّ المصدر غير ملحوظ فيه زمان وقوع الحدث. و(أنْ) تخلّص المضارع إلى المستقبل وكون القاتل يبوء بإثم أخيه مضافاً إلى إثمه الشخصي مستقبلٌ يجيء بعد القتل وكونه صائراً إلى النار مستقبلٌ يجيء بعد موته وربّما بعد قيام الساعة، ولو جيء بالمصدر الصريح ما أدّى هذه المعاني.

٨- لم: حرف نفي وجزم وقلب وهي أفادت نفي وقوع الفعل في زمنٍ مضى في القصة ولا يمنع هذا وقوعه في المستقبل لو أنَّ الأخ المرفوض قربانه سلك غير مسلك الحسد لأنَّ ما يُنفى في الماضي فقط لا يمتنع وقوعه في الحاضر أو في المستقبل.

٩- ما: حرف نفي إذا دخلت على الفعل أفادت نفي وقوعه في الحال ولا يمتنع حينئذ وقوعه في المستقبل وهي إذا دخلت على الجملة الإسميّة قريبة من هذا المعنى إذ تنفي اتصاف المسند إليه بالمسند في زمان التكلّم ولم ترد في القصة غير مرّة واحدة لهذا الغرض، فإنَّ الأخ المظلوم يعيش لحظات تهديد من أخيه بقتله وهو لا يريد أن يفعل ما يَهُمُّ أخوه بفعله في تلك اللحظات.

١٠- مِن: حرف جر له معانٍ كثيرة تُنظر في مظانها[٤٦]، وقد وردت في النص الكريم ست مرات جاءت بمعنى التبعيض في ثلاثةٍ منها وهي: [مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ] [مِنَ الْخَاسِرِينَ] [مِنَ النَّادِمِينَ] وجاءت بمعنى ابتداء الغاية في ثلاث مرات: [مِن أَحَدِهِمَا] [مِنَ الآخَرِ] [مِنَ الْمُتَّقِينَ].

١١- يا: حرف نداء في أصل استعماله إذ به يطلب المتكلم إقبال السامع[٤٧]؛ لكنها تصير إلى معانٍ أخرى غير النداء لأسبابٍ تدعو إليها مقتضيات التعبير الفني فهو في النص الكريم مثلاً خرجت عن معنى النداء فابن آدم القاتل لا ينادي أحداً لكنه يعبّر عن ندمه بهذه الحسرة الموجعة: [يَا وَيْلَتَا] فكأنه يقول: يا هلاكي أقبلْ فهذا أوانُك وإنَّ بي من الوجع والأسى ما لا شفاء له إلاّ هلاكي.

القضايا الصرفية: عرضتُ في بحثي هذا لموضوعات صرفيّة على وفق ما وردت في القصة على النحو الآتي:

- **الأفعال:** الفعل ما دلَّ على اقتران حدثٍ بزمان[٤٨]. وتُقَسَّم. الأفعال على ثلاثة أقسام هي: الماضي والمضارع والأمر بحسب ما يذهب إليه البصريّون[٤٩].

وهذه الأفعال مقسّمة على قسمين: ثلاثي ورباعي. ولا وجود لهذا الفعل (الرباعي) ولا المزيدة عليه في أفعال هذه القصة. وكُلّ منهما يُقَسَّم على قسمين أيضاً: المجرّد والمزيد[٥٠]، فالفعل الثلاثي المجرد يكون على ثلاثة أحرف ويكون على

صيغ مختلفة هي[٥١]: (فَعَلَ) نحو (ضَرَبَ) و(فَعِلَ) نحو (عَلِمَ) و(وفَعُلَ) نحو (ظَرُفَ)، وما زاد على هذا البناء يكون حروفاً زائدة وهي تجمع بعبارة (سألتمونيها)[٥٢]،وتُقَسَّم هذه الأفعال أيضاً على قسمين: صحيح ومعتل وهذا التقسيم يرجع إلى نوع الحروف التي يتكوّن منها الفعل، والمعروف أنَّ علماء العربيّة قسّموا الحروف على: حروف صحيحة وحروف علّة فـ (الألف) و(الواو) و(الياء) حروف علّة وما عداها حروف صحيحة[٥٣]. وقد بدأت بدراسة الأفعال بوصفها أساساً ضرورياً لفهم المشتقات. والذي لا شكَّ فيه أنَّ دراسة الأفعال من الناحية الصرفيّة تختلف عنها من الناحية النحويّة، فالصرف يعالج الأفعال من وجوه كثيرة اكتفيت هنا ببعضها على وفق ما وردت في القصة وهي ما يأتي:

أولاً/ الماضي والمضارع والأمر:

أ- الماضي[٥٤]:

١- قرَّبا: ورد مسنداً إلى ألف الاثنين وهو من الباب الأول.
٢- تُقُبِّلَ: ورد مسنداً إلى ضمير المفعول به وهو من الباب الرابع.
٣- قالَ: ورد مسنداً إلى ضمير الغائب وقد تكرر ثلاث مرات وهو من الباب الأول.
٤- بَسَطتَ: ورد مسنداً إلى تاء الفاعل وهو من الباب الأول.
٥- طَوَّعت: ورد مسنداً إلى (نفسه) وهو من الباب الأول.
٦- فقتله: ورد مسنداً إلى ضمير الغائب وهو من الباب الأول.
٧- أصبح: ورد مسنداً إلى ضمير الغائب وقد تكرر مرتين وهو من الباب الثاني.
٨- بعث: ورد مسنداً إلى لفظ الجلالة وهو من الباب الثالث.

ب – المضارع[٥٥]:

١- يُتَقَبَّلُ: ورد مسنداً إلى ضمير المفعول به وهو من الباب الرابع.
٢- لأقتلنّك: ورد مسنداً إلى ضمير المتكلّم ومؤكداً بنون التوكيد الثقيلة وهو من الباب الأول.
٣- يَتَقَبَّلُ: ورد مسنداً إلى لفظ الجلالة وهو من الباب الرابع.
٤- تقتلني: ورد مسنداً إلى ضمير المخاطب وهو من الباب الأول.
٥- لأقتلك: ورد مسنداً إلى ضمير المتكلم وهو من الباب الأول.
٦- أخافُ: ورد مسنداً إلى ضمير المتكلم وهو الباب الرابع.
٧- أريدُ: ورد مسنداً إلى ضمير المتكلم وهو من الباب الأول.

٨- تبوء: ورد مسنداً إلى ضمير المخاطب وهو من الباب الأول.
٩- فتكون: فعل ناقص ورد مسنداً إلى ضمير المخاطب وهو من الباب الأول.
١٠- يبحث: ورد مسنداً إلى ضمير الغائب وهو من الباب الثالث.
١١- يُريه: ورد مسنداً إلى ضمير الغائب وهو من الباب الثالث.
١٢- يواري: ورد مسنداً إلى ضمير الغائب وهو من الباب السادس.
١٣- أكون: فعل ناقص ورد مسنداً إلى ضمير المتكلم وهو من الباب الأول.
١٤- أواري: ورد مسنداً إلى ضمير المتكلم وهو من الباب السادس.

ج – الأمر :ورد في القصة فعلُ أمر واحد وهو (اتلُ) وقد ورد مسنداً إلى ضمير المخاطب وهو من الباب الأول[٥٦].

- **المُجَرّد والمزيد**

أ- **الفعل المجرد:** هو ما كانت جميع حروفه أصليّة ولا يسقط منها حرف في تصاريف الكلمة لغير علّة تصريفيّة[٥٧]، وله ثلاثة أوزان : فَعَلَ وفَعِلَ وفَعُلَ[٥٨]، وممّا ورد في القصة مجرداً الآتي :

١- اتل : أمر من الثلاثي المجرد (تلا – يتلو) من الباب الأول.
٢- قالَ : ماضٍ مجرّد من الباب الأول وقد ورد ثلاث مرات .
٣- أقتل ، تقتل ، فقتله : من الباب الأول، وقد ورد الماضي مرة واحدة والمضارع ثلاث مرّات .
٤- أخافُ : مضارع من الثلاثي المجرد (خاف – يخاف) من الباب الرابع.
٥- أريدُ : مضارع من الثلاثي المجرد (رادَ – يَرودُ) من الباب الأول.
٦- تبوأ : مضارع من الثلاثي المجرد (باء – يبوء) من الباب الأول.
٧- يكون، أكون: مضارع من الثلاثي المجرد (كان– يكون) من الباب الأول.
٨- بَعَثَ : ماضٍ مجرد من الباب الثالث.
٩- يبحثُ: مضارع من الثلاثي المجرد (بحث– يبحث) من الباب الثالث.
١٠- عجز: ماضٍ مجرد من الباب الثاني.

ب- **الفعل المزيد:** هو كل فعل زيدَ على حروفه الأصليّة حرفٌ أو أكثر[٥٩]، وقد ذكر ابن جني (ت ٣٩٢هـ) معنى حروف الزيادة قائلاً: " اعلم أنّه إنّما يريدُ بقوله الأصل: الفاء والعين واللام، والزائد ما لم يكن فاءً ولا عيناً ولا لاماً"[٦٠]، وللفعل الثلاثي المزيد ثلاثة أقسام[٦١]:

١- ما زيد بحرفٍ واحد.

٢- ما زيدَ بحرفين.
٣- ما زيد بثلاثة أحرف.
فمما ورد مزيداً بحرف واحد في أفعال هذه القصة ما يأتي:

أ- الثلاثي المزيد بـ(الهمزة) في أوّله وصيغته (أفعل):

يفيد الفعل المزيد بالهمزة معاني كثيرة منها: التعدية، والصيرورة، والدخول في الزمان والمكان، والمبالغة، والوجود لصفة معينة، والسلب، ومعنى (جعل) وغير ذلك[٦٢]، وقد جاء (أفعل) مضارعاً مرتين في قوله (أريد) وماضيه (أراد) وهو مزيد على الثلاثي (راد– يرود) فكان لدخول الهمزة أن نقلت معناه من معنى المجيء والذهاب إلى معنى المشيئة[٦٣]، وورد الفعل (أصبح) ماضياً مرتين وهو مزيد على الثلاثي (صبح – يصبح) فكان لدخول الهمزة أن جعلته دالاً على الصيرورة في كلا الموضعين ففي الموضع الأول وهو قوله تعالى: [فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ] فإنَّ الفعل (أصبح) بمعنى (صار)[٦٤] أي: انه صار من الخاسرين بقتله أخيه، على أنَّ القتل وقع ليلاً – وليس بشيء – فإنَّ من عادة العرب أن يقولوا : أصبح فلانٌ خاسر الصفقة إذا فعل أمراً ثمرته الخسران ويعنون بذلك الحصول مع قطع النظر عن وقت دون وقت[٦٥]، أما في الموضع الثاني وهو قوله تعالى: [فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ] فمعناه أنه صار معدوداً من عدادهم[٦٦]، وفي قوله: [لِيُرِيَهُ] وهو مضارع (أرى – يري) والثلاثي منه (رأى – يرى) بمعنى أبصر فكان لدخول الهمزة أن حوّلته من متعدٍ إلى مفعول واحد إلى متعدٍ إلى مفعولين[٦٧].

ب- الثلاثي المزيد بالتضعيف وصيغته (فَعَّلَ):

تأتي هذه الصيغة لمعانٍ كثيرة منها: التكثير، والتعدية، ومعنى (نسب)، والسلب، والصيرورة، والتوجه، وغيرها[٦٨]، ومما جاء من هذه الأفعال على هذه الصيغة الفعل (قرّب) في قوله: [إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا] وأفاد معنى (التوجه) أي أنهما توجّها إلى الله– عز وجل – بقربانٍ كي يتقرّبا به إليه تعالى ، وقُرْبُ العبد من الله في الحقيقة التخصّص بكثيرٍ من الصفات التي يصحّ أن يوصف الله بها وإن لم يكن وصف الإنسان بها على الحد الذي يُوصف تعالى به نحو: الحكمة، والعلم، والحُلم[٦٩]. وقد خصَّ القُرب في هذه الآية بالتوجّه إليه بقربانٍ يقرّبه ابنا آدم، وقد توجّه كلٌّ واحدٍ منهما بقربانٍ خاص به.

ومما جاء أيضاً من هذه الأفعال على هذه الصيغة وأفاد التعدية الفعل (طوّعت) في قوله: [فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ] كأنَّ القتل كان ممتنعاً عليه متعاصياً وأصله: طاع له قتل أخيه، أي: انقاد له وسهل ثم عُدِّي بالتضعيف فصار الفاعل مفعولاً، والمعنى: أنَّ القتل في نفسه مستصعبٌ

عظيم على النفوس فردّته هذه النفس اللحوح الأمّارة بالسوء طائعاً منقاداً حتى أوقعه صاحب هذه النفس[٧٠].

ج- الفعل الثلاثي المزيد بالألف (فاعل – يفاعل):

وهذه الصيغة غالبة في المشاركة قلّما تعدوها إلى غيرها وقد ورد من هذه الصيغة مضارعها في قوله: [لِيُرِيَهُ] مرتين لا يراد بها المشاركة لأنَّ الفعل لم يقع من غير القاتل وإنّما أُريدَ بها المبالغة أو لعلّه (فاعلَ) بمعنى (فعلَ)[٧١]. ونأتي الآن إلى النوع الآخر من الأفعال المزيدة وهو الفعل المزيد بحرفين وقد جاء هذا الفعل في القصة مزيداً بالتاء والتضعيف وصيغته (تفعَّل) علماً أنَّ هذه الصيغة تأتي للدلالة على معانٍ كثيرة منها: التكلّف، والاتخاذ، والتجنّب (أي أن الفاعل جانب الفعل)، وحصول أصل الفعل مرة بعد مرة، والطلب، والصيرورة، وغير ذلك[٧٢]، وقد ورد من هذه الصيغة الماضي (تقبّل) ومضارعه (يتقبّل) أما الماضي فقد كان مبنيّاً للمجهول (فَتُقُبِّلَ) وأما المضارع فقد ورد مرتين: للمجهول (يُتُقُبّل) وللمعلوم أخرى (يَتَقَبَّل) وقد دَلّ الفعل (تقبّل) وما تصرّف منه في القصة على قوة التقبّل وشدّته للقربان، فتقوى الله هي سبب القبول وعدمه، وفيه دليل على أنَّ الله لا يقبل طاعة إلاّ من مؤمنٍ متّقٍ[٧٣] وهو واضح في إفادة معنى المبالغة، أمّا المزيد بثلاثة حروف فلم يرد منه شيء في القصة.

- **الصحيح والمعتل:** ينقسم الفعل باعتبار نوعية حروفه على قسمين : صحيح ومعتل .

أ- **الصحيح** : وهو ما كانت حروفه الأصول صحيحة وليست بحروف علة[٧٤]، نحو: كتبَ وقرأَ، وينقسم الصحيح على[٧٥]:

١- السالم: وهو ما سلمت حروفه الأصول من الهمز والتضعيف نحو: ذهب وفرح.

٢- المهموز: وهو ما كان أحد حروفه الأصول همزة نحو: أخذ وسأل.

٣- المضاعف: وهو في الثلاثي ما كانت عينه ولامه من جنس واحد نحو: مَدَّ، وفي ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس وعينه ولامه الثانية من جنس آخر نحو: زلزل.

ومن الأفعال الصحيحة الواردة في القصة:

- بسط: صحيح سالم.
- بعث: صحيح سالم.
- قتل: صحيح سالم .
- أصبح: أصله (صبح) صحيح سالم.
- تُقُبِّل، يُتُقَبّل، يَتَقَبّل : أصلها (قَبِل) صحيح سالم.

- يبحث: أصله (بحث) صحيح سالم.

ب- **المعتل:** وهو ما في حروفه الأصول حرف من حروف العلة،نحو: باع، ووعد، ووفى[٧٦]،وينقسم المعتل على[٧٧]:

١- المثال: وهو ما كانت فاؤه حرف علّة نحو: وعد ، يسّر.

٢- الأجوف: وهو ما كانت عينه حرف علّة نحو: باع، ضاع.

٣- الناقص: وهو ما كانت لامه حرف علة نحو: رمى، غزا.

٤- اللفيف: وهو ما كان فيه حرفا علّة نحو: وفى، ومن الأفعال المعتلة الواردة في القصة:

- قال: معتل أجوف.
- طوّع: أصله (طوع أو طاع) معتل أجوف.
- أخاف: أصله (خاف أو خوفَ) معتل أجوف.
- تبوء: أصله (باء) معتل أجوف.
- تكون، أكون: أصله (كان) معتل أجوف.
- يريه: أصله (رأى) معتل ناقص .

- **المشتقات**

الاشتقاق من خصائص العربيّة ووسيلة لإثرائها بملايين المفردات، والاشتقاق في العربيّة أساسه المادة الأصلية للمفردة، والمفردات الجديدة المأخوذة منها هي المشتقات[٧٨]. ولكلٍّ من هذه المشتقات صيغ قد تكون قياسية أو سماعيّة ومن المشتقات الواردة في القصة:

اسم الفاعل: هو الاسم المشتق من مصدر الفعل المبني للمعلوم للدلالة على ما وقع منه الفعل[٧٩]، أي: الحدث، وهو دالٌّ على الحدوث والتجدّد[٨٠]. وتقاس صيغه من الفعل الثلاثي على زنة (فاعل) في الغالب، ومن غير الثلاثي على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر، وصيغته (مُفْعِل)[٨١]. فمن أسماء الفاعل الواردة في القصة:

١- متقين: في قوله تعالى: [إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ] إذ أنَّ اسم الفاعل هنا هو (متقين) مفرده (متقٍ) صيغ من الفعل الخماسي (اتقى) بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر[٨٢].

٢- باسط: في قوله تعالى: [مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ] إذ أنَّ (باسط) اسم فاعل من الفعل الثلاثي (بسط) وقد وصف الله تعالى المقتول باسم الفاعل "ليفيد أنّه لا يفعل ما يكتسب به هذا

الوصف الشنيع"[٨٣]، أي: أنا لستُ من أصحاب هذا الوصف وأنَّ هذا الخُلُق ليس من شيمي وأخلاقي.

٣- الظالمين: في قوله تعالى: [وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ] إذ ان (الظالمين) اسم فاعل من الفعل الثلاثي (ظلم) وقد ورد بصيغة الجمع إلاّ أن المفرد (ظالم).

٤- الخاسرين: في قوله تعالى: [فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ] حيث جاء اسم الفاعل (الخاسرين) من الفعل الثلاثي (خسر) وهو بصيغة الجمع إلاّ أن مفرده (خاسر).

٥- النادمين: في قوله تعالى: [فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ] حيث جاء اسم الفاعل (النادمين) من الفعل الثلاثي (ندم) وهو بصيغة الجمع إلاّ أن المفرد (النادم).

- **المصادر**

المصدر: هو اللفظ الدّال على الحدث، مُجَرّداً عن الزمان، متضمّناً أحرف فعله[٨٤]. والمصدر يختلف عن الفعل في أنّه اسم ويتفق مع الفعل في أنه يدل على الحدث غير أن الفعل يدل على الحدث فضلاً عن دلالته على الزمان[٨٥]، والمصدر نوعان[٨٦]:

أ- مصدر الفعل الثلاثي وقلّما يكون قياسياً وأكثرهُ سماعي، وممّا ورد من هذا النوع في القصة:

١- (نبأ): وهو مصدر الفعل الثلاثي (نبأ) وهو مصدر سماعي[٨٧].

٢- (قربان): وهذا المصدر على زنة (فُعلان) ويُصاغ من الفعل الثلاثي (قَرُبَ) على زنة (فَعُلَ) وهو مصدر سماعي. قال سيبويه: "وقد جاء على فُعلان نحو: الشُكران والغفران"[٨٨].

٣- (قَتْل): وهو مصدر سماعي للفعل الثلاثي (قَتَلَ) والضابط في ذلك أن يكون المصدر على وزن (فَعْل) إذا كان متعدياً و(فعول) إذا كان لازماً[٨٩].

ب- مصدر الفعل فوق الثلاثي وأكثره قياسي وقلّما يكون سماعياً ولم يرد منه شيء في القصة.

القضايا النحوية

لم تَخلُ قصة ابني آدم من القضايا والخلافات النحويّة والتي تطرّق إليها المفسّرون والنحاة في كتبهم، وأعرض ها هنا بعضاً منها:

أولاً: قوله تعالى: [بِالْحَقِّ] ، في الجار والمجرور وجوه اعرابية:

١- متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر (اتلُ) وعلى هذا يكون المعنى: اتلُ تلاوةً متلبّسة بالحق والصحة[٩٠].

٢- حال وفيه وجهان:

أ- أن يكون حالاً من الضمير المستتر (فاعل الفعل اتلُ) وعلى هذا يكون المعنى : اتلُ متلبّساً بالحق[٩١].

ب- أن يكون هناك حالاً من مفعول الفعل (اتل) وهو (نبأ) وعلى هذا يكون المعنى : نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرّر في كُتب الأوّلين[٩٢].

ثانياً: قوله تعالى: [إِذْ قَرَّبَا] ، في إعراب (إذ) عدة وجوه اعرابيّة:

١- ظرف زمان لـ (نبأ) متعلّق به فيكون المعنى: اتلُ عليهم نبأهما وخبرهما في ذلك الوقت[٩٣].

٢- أن يكون حالاً من (نبأ) ويكون المعنى: اتلُ عليهم نبأ ابني آدم متلبّساً بوقت وقع القصة[٩٤].

٣- أن يكون بدلاً من (نبأ) فيكون المعنى: اتلُ عليهم نبأ ابني آدم نبأ زمان حدثت القصة[٩٥].

ولا شكَّ في أنَّ الوجه الأخير يُفهم منه أنَّ المطلوب قراءة خبر زمان القصة وليس هذا مقصد النص الكريم ، وقد ردَّ أبو حيان[٩٦] الوجه الأخير وإن كانت حجته لا تقوم على ما ذكرنا، لإنَّه ردّه من جهة الصناعة النحويّة مدّعياً أنَّ (إذ) لا تُضاف إلاّ إلى زمان مثل (يومئذ) وردّنا قائم على أساس دلالي يتلخّص في أنه لا يقصد تلاوة وقت القصة وإنّما تلاوة القصة ذاتها.

ثالثاً: قوله تعالى: [مِنَ الْمُتَّقِينَ] ، بِمَ يتعلّق الجار والمجرور ذكر النحاة وجهين اعرابيين[٩٧]:

١- إنه متعلّق بالفعل (يتقبّل).

٢- أنه متعلّق بالمفعول المحذوف اختصاراً للفعل (يتقبّل) على معنى أن الله يتقبل القربان من المتقين.

رابعاً: قوله تعالى: [لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ]

عن سبب مجيء الشرط بلفظ الفعل (بسطت) والجزاء بلفظ اسم الفاعل (باسط) يقول الزمخشري: "ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك أكدّه بالباء المؤكدة للنفي"[٩٨]، وأبو حيان ينتقد هذا الرأي قائلاً: "وهو كلام فيه انتقاد وذلك أن قوله ما أنا بباسط ليس جزاء بل هو جواب للقسم المحذوف قبل اللام في لئن المؤذنة بالقسم والموطئة للجواب لا للشرط وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ولو كان جواباً للشرط لكان بالفاء فإنّه إذا كان جواب الشرط منفياً بـ(ما) فلا بد من الفاء كقوله[٩٩]: [وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا] (الجاثية/٢٥)، ولو كان أيضاً جواباً للشرط للزم من ذلك حزم القاعدة النحوية من أنه إذا تقدّم القسم فالجواب للقسم لا للشرط وقد خالف الزمخشري كلامه هذا بما ذكره في البقرة في قوله: [وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ] (البقرة/١٤٥)، فقال: ما تبعوا جواب القسم المحذوف سَدَّ مسد جواب الشرط"[١٠٠].

ويفصل أبو السعود ذلك قائلاً: "صدّر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدّم الجار والمجرور على المفعول الصريح إيذاناً من أول الأمر برجوع ضرر البسط وعائدته إليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرّة بـ (ما) الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في إظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى: [وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ] (البقرة/٨)، وقوله: [وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا] (المائدة/٣٧)، فإنَّ الجملة الاسميّة الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبيّة تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيّد بالدوام فيرفع قيده أي: والله لئن باشرت قتلي حسبما أوعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعلٍ مثله لك في وقت من الأوقات"[١٠١]،ويدلي الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي بدلوه في هذه المسألة متحدّثاً عن هذه الآية قائلاً: "ففرّق بين الشرط والجزاء فقال: (بسطتَ) بالفعل وقال: (ما أنا بباسطٍ) بالاسم ولم يسوِّ بينهما فلم يقل: لئن بسطت لا أبسط، ليفيد أنه لايفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع، أي: أنا لست من أصحاب هذا الوصف وإن هذا الخُلُق ليس من شيمي ووصفي"[١٠٢]،وعند حديثه (أي الدكتور السامرائي) عن دلالات الجملة الفعلية والاسمية يقول:" [وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ] (الكهف/١٨) لو قال: (يبسط) لم يُؤدِّ الغرض؛ لأنه لم يؤذن بمزاولة الكلب البسط وإنه يتجدّد له شيئاً بعد شيء فـ (باسط) أشعر بثبوث الصفة"[١٠٣].

خامساً: قوله تعالى: [فَأُوَارِيَ] قال الزمخشري[١٠٤]: " فأواري بالنصب على جواب الاستفهام". وقد ردّ عليه أبو حيان هذا الرأي قائلاً[١٠٥]: "وهذا خطأ فاحش لأنَّ الفاء الواقعة جواباً بالقسم للاستفهام تنعقد من الجملة الاستفهاميّة والجواب شرط وجزاء وهنا نقول: أتزورني فأكرمك، والمعنى: إن تزرني أكرمك، وقال تعالى: [مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا] (الأعراف/٥٣)، أي: إن يكن لنا شفعاء يشفعوا، ولو قلت هنا: إن أعجز أن أكون مثل هذا الغراب أوارِ سوءة أخي، لم يصح؛ لأن المواراة لا تترتب على عجزه عن كونه مثل الغراب".

القراءات القرآنية:تنوعت القراءات القرآنية الواردة في القصة على عدة أنواع ولا أعني هنا تنوّعها من حيث تواترها أو شذوذها على عموم موضوع القراءات؛ لإنّه ليس من وكد هذه الدراسة البحث في هذه الجوانب لإشباع الدارسين هذه المسألة بالبحث والدراسة؛ بل أقصد تنوّعها من حيث إلمام هذه القراءات الواردة في القصة ببعض القضايا اللغويّة والنحوية؛ لذا سيكون تقسيمنا لهذه القراءات على الوجه الآتي:

أولاً: البناء للمعلوم والبناء للمجهول

١- قوله تعالى: [فَتُقُبِّلَ] يُقرأ (فَقُبلَ) على ما لم يُسَمَّ فاعله، وماضيه (قَبِلَ)، ويقرأ (فَقَبِلَ) على لفظ الماضي من غير تشديد[١٠٦].

٢- قوله تعالى: [وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ] قُرِئت (يتُقُبَلَّ) بالأوجه الثلاثة: ويقصد بالوجه الثلاثة قراءة الجمهور والقراءتين السابقتين[١٠٧].

ثانياً: بين التشديد والتخفيف

قوله تعالى: [لَأَقْتُلَنَّكَ] قرأ الجمهورُ[١٠٨] بتشديد النون وقرأ زيد بن علي بالنون الخفيفة[١٠٩].

ثالثاً: الإبدال الصوتي :قوله تعالى: [لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ] قرأ الأعشى (لئن بصطت إليَّ يدك) بالصاد وكذا (ما أنا بباصطٍ يديَ إليك) وقرأ الباتون بالسين[١١٠].

رابعاً : حذف التنوين تخفيفاً: قوله تعالى: [بِبَاسِطٍ يَدِيَ] قرأ جناح بن حُبيش بإضافة (باسط) إلى (يدي) بغير تنوين[١١١]، والمعنى على التنوين[١١٢] وإنّما حذف تخفيفاً.

خامساً: تحريك الساكن وتسكين المتحرّك

١- في قوله تعالى: [يَدِيَ إِلَيْكَ] وقوله: [إِنِّي أَخَافُ] وقوله: [إِنِّي أُرِيدُ]، قرأ نافع : (إنّيَ أريدُ) بفتح الياء وأسكنها الباقون[١١٣]، وقرأ نافع وأبو عمرو: (يديَ إليك) و(إنّيَ أخاف) بفتح الياء[١١٤]، وقرأ ابن كثير (إنيَ أخاف) بفتح الياء[١١٥]، وقرأ حفص: (يديَ إليك) بفتح الياء وأسكن الباقون الياء[١١٦].

٢- في قوله تعالى: [فَأُوَارِيَ] يُقرأ بإسكان الياء[١١٧] وفيها وجهان:

أ- من باب تسكين المتحرك[١١٨] وهو ضعيف[١١٩].

ب- إنه قد أراد الرفع على معنى (فأنا أواري) والكلام على هذا يستقيم[١٢٠].

وهناك قراءة أخرى فتكون (أواري) بالنصب[١٢١] معطوفة على (أن أكون).

سادساً : اختلاف الصياغة الصرفية

في قوله: [فَطَوَّعَتْ] فيها قراءتان:

١- قراءة الجمهور، والمعنى: بعثته نفسه على قتل أخيه[١٢٢] وشجّعته[١٢٣]، وقال قتادة[١٢٤]: زيّنت له، وقال الأخفش[١٢٥]: رخّصت له، وقال قتيبة[١٢٦]: تابعته وانقادت له، وقال الزمخشري[١٢٧]: وسّعته له ويسّرته.

وهذه الأقوال جميعها متقاربة في المعنى، وهو (فعل) من الطوع وهو الانقياد كأنَّ القتل كان ممتنعاً عليه متعاصياً وأصله : طاع له قتل أخيه أي: انقاد له وسهل ثم عُدِّي بالتضعيف فصار الفاعل مفعولاً والمعنى: إنَّ القتل في نفسه مستصعب عظيم على النفوس فردّته هذه النفس اللحوح الأمّارة بالسوء طائعاً منقاداً حتى أوقعه صاحب هذه النفس[١٢٨].

٢- قراءة (طاوعت) وفيها وجهان[١٢٩]:

أ- أن يكون مما جاء من (فاعل) بمعنى (فَعَّل) فكأنَّ القتل في نفسه مستصعب فسهّلت عليه نفسه أمر القتل وهذا الوجه موافق لقراءة الجمهور.

ب- أن يكون (فاعل) منه للاشتراك. كأن القتل يدعوه بسبب الحسد إصابة أخيه فطاوعت النفس القتل.

سابعاً: الإمالة :في قوله تعالى: [قَالَ يَا وَيْلَتَا] قرأ الجمهور[١٣٠] (يا ويلتا) بألف بعد التاء وهي بدل من ياء المتكلم وأصله (يا ويلتي) بالياء وهي قراءة الحسن[١٣١] وأمال حمزة والكسائي وأبو عمر ألف ويلتي[١٣٢]. وقرأ أوقية من طريق الذهوازي (يا ويلتاه) بهاء في الوقف[١٣٣].

ثامناً : إبدال الحركات: في قوله تعالى: [أَعَجَزْتُ] قرأ ابن عمير وطلحة بن مصرف والحسن بكسر الجيم[١٣٤] (أعجِزتُ) وهي لغة[١٣٥] والفتح أكثر[١٣٦].

المعنى العام

قبل الخوض في دراسة المعنى العام للقصة والوقوف على آراء المفسّرين فيها لا بُدَّ أن نتوقف قليلاً عند مناسبة هذه القصة لما قبلها من آيات سورة المائدة، فالله تعالى حينما ذكر تمرّد بني اسرائيل وعصيانهم لأمر الله في قتال الجبّارين ذكر بعد ذلك قصة ابني آدم وعصيان (قابيل) أمر الله وإقدامه على قتل النفس البريئة التي حرّمها الله، فاليهود اقتفوا في العصيان أول عاصٍ لله في الأرض، فطبيعة البشر فيهم مستقاة من ولد آدم الأول، فاشتبهت القصّتان من حيث التمرد والعصيان، ثم ذكر تعالى عقوبة قطّاع الطريق والسرّاق الخارجين على أمن الدولة والمفسدين في الأرض[١٣٧]، وأحاول الآن أن اجمع بين آراء المفسّرين لبيان المعنى العام للقصة، قوله تعالى: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ] أمرٌ من الله تعالى لنبيّه الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يتلو على هؤلاء الحسدة من اليهود وأشباههم الذين أشرنا إليهم في حديثنا أعلاه نبأ هذين النموذجين من نماذج البشرية بعد أن تلا عليهم ما جرى من قصة بني اسرائيل مع موسى (عليه السلام) تلاوة

متلبسة بالحق فهو حق وصدق في روايته وهو ينبئ عن حق في الفطرة البشرية وهو يحمل الحق في ضرورة الشريعة العادلة الرادعة[١٣٨].

وفي (ابني آدم) المذكورين في الآية آراء للعلماء اخترتُ منها هذين القولين:

الأول: أنهما ابنا آدم لصلبه وهما (قابيل وهابيل) وقد قال بهذا الرأي ابن عمر وابن عباس ومجاهد وقتادة[١٣٩].

الثاني: أنهما اخوان من بني اسرائيل ولم يكونا ابني آدم لصلبه وقد قال بهذا الرأي الحسن الضحاك وآخرون[١٤٠].

ويرجح العلماء الرأي الأول لقوله تعالى: [لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ] ولو كان من بني إسرائيل لكان قد عرف الدفن[١٤١]،أما أصحاب الرأي الثاني فقد علّلوا قولهم بأنَّ القربان كانت تأكله النار في زمن بني إسرائيل[١٤٢] ومثل ذلك قوله تعالى: [إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ] (آل عمران/١٨٣).

وقد ردّ ابن عطيّة في تفسيره على الرأي الثاني قائلاً: "وهذا وهْمٌ، وكيف يجهل صورة الدفن أحدٌ من بني إسرائيل حتى يقتدي بالغراب؟!"[١٤٣].

وعن سبب تقريب كُلٍّ منهما قرباناً قال المفسِّرون: "إنَّ حواء كانت تلد في كلِ بطنٍ ذكراً وأنثى وكان يُزَوَّج الذكر من هذا البطن الأنثى من البطن الآخر فلمّا أراد آدم أن يُزَوِّج قابيل أُخت هابيل ويزَوّج هابيل أخت قابيل رضيَ هابيل وأبى قابيل لأنَّ توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم : قَرِّبا قرباناً فمن أيّكما تُقُبّل تزوّجها، وكان قابيل صاحب زرع فقرّب أرذل زرعه وكان هابيل صاحب غنم فقرّب احسن كبشٍ عنده فَقُبِل قربان هابيل بأن نزلت نارٌ فأكلته فازداد قابيل حسداً وسخطاً وتوعّده بالقَتل[١٤٤] [لَأَقْتُلَنَّكَ] لأن الله قبل قربانك وردَّ قرباني، وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة، فيتحدّث الناس أنّك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي، وهنا يجيبه هابيل قائلاً: وما ذنبي؟ [إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ] فالله يتقبّل ممّن اتقى ربّه وأخلص نيّته، وإنك أُتيت من قِبَلِ نفسك بترك التقوى لا من قبلي، فَلِمَ تقتلني؟ وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول؟ وإنَّ الله–سبحانه وتعالى–لا يقبل طاعة إلاّ من مؤمنٍ متّقٍ[١٤٥]، ثُمَّ يمضي الأخ المؤمن التقي الوديع المسالم يكسر من شرّة الشر الهائج في نفس أخيه الشرير [لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ]، أي: لئن مددتَ إليّ يَدكَ لتقتلني فليس من شأني ولا من طبعي أن أفعل هذه الفعلة بالنسبة لك، فهذا الخاطر–خاطر القتل–

لا يدور بنفسي أصلاً ولا يتّجه إليه فكري إطلاقاً خوفاً من الله رب العالمين، وقوله تعالى: [مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ] فيه قولان[١٤٦]:

الأول: ما أنا بمنتصر لنفسي وهذا قول ابن عباس.

الثاني: ما كنت لابتدئك، وهو قول عكرمة.

وعن سبب امتناع المقتول عن دفع القتل عن نفسه هنالك رأيان[١٤٧]:

الأول: أنه منعه التحرّج مع قدرته على الدفع وجوازه له وهذا رأي عمر وابن عباس.

الثاني: انَّ دفع الإنسان عن نفسه لم يكن في ذلك الوقت جائزاً وهذا رأي الحسن ومجاهد.

ويذهب ابن جرير قائلاً: "لم يكن في الآية دلالة على أنه–أي المقتول–كان مأموراً بترك منع أخيه من قتله، لم يكن جائزاً ادّعاء ما ليس في الآية إلاّ ببرهان يجب تسليمه"[١٤٨].

وهكذا يرتسم نموذجٌ من الوداعة والسلام والتقوى في أشدّ المواقف استجاشة للضمير الإنساني، وحماسة للمعتدى عليه ضد المعتدي، وإعجاباً بهدوئه واطمئنانه أمام نُذُر الاعتداء، وتقوى قلبه وخوفه من رب العالمين، ولقد كان في هذا القول اللّين ما يفثأ الحقد، ويهدّئ الحسد، ويُسكن الشر، ويمسح على الأعصاب المهتاجة، ويردّ صاحبها إلى حنان الأخوّة وبشاشة الإيمان، وحساسية التقوى. أجل لقد كان في ذلك كفاية ولكنَّ الأخ الصالح يضيف إليه النذير والتحذير[١٤٩]: [إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ]. الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة ، وإنما هو تخيّير في أهون الشرّين كأنه قال: إن قتلتني فذلك أحبُّ إليّ من أن أقتلك كما ورد في الأثر: ((كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل))، وأما قوله: [بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ] فمعناه : بإثم قتلي لك لو قتلتك وبإثم قتلك لي وإنّما يحمل القاتل الإثمين لأنّه ظالم فذلك مثل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم)[١٥٠]: ((المُستَبَّان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتدِ المظلوم)). وقيل بإثمي: أي تحمل عني سائر ذنوبي؛ لأنَّ الظالم تُجعل عليه في القيامة ذنوب المظلوم، وبإثمك أي في قتلك لي، وفي غير ذلك من ذنوبك. وأما قوله تعالى: [وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ] يحتمل أن يكون من كلام هابيل أو استئنافاً من كلام الله تعالى[١٥١].

والقرطبي ينقل عن العلماء في هذه المسألة ثلاثة آراء يمكن إجمالها بالشكل الآتي[١٥٢]:

الرأي الأول: أن تبوء بإثم قتلي واثم ذنبك الذي من أجله لم يُتقبّل قربانك ويُروى هذا القول عن مجاهد.

الرأي الثاني: أن تبوء بإثم قتلي واثم اعتدائك عليَّ؛ لأنّه قد يأثم بالاعتداء وإن لم يقتل.

الرأي الثالث: أنه لو بسط يده إليه اثم، فرأى أنه إذا امسك عن ذلك فإثمه يرجع على صاحبه، فصار هذا مثل قولك: المال بينه وبين زيد، أي: المال بينهما فالمعنى أن تبوء بإثمنا.

وهكذا يُصَوّر المقتول للقاتل اشفاقه هو من جريمة القتل؛ ليثنيه عمّا تراوده به نفسه، وليخجله من هذا الذي تحدّثه به نفسه تجاه أخٍ مسالم وديع تقي، وعرض له وزر جريمة القتل لينفره منها ويزيّن له الخلاص من الإثم المضاعف بالخوف من الله رب العالمين وبلغ من هذا وذاك أقصى ما يبلغه إنسان في صرف الشر ودوافعه عن قلب إنسان، ولكن النموذج الشرير لا تكمل صورته حتى نعلم كيف كانت استجابته[١٥٣]: [فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ] للعلماء في تفسير هذه الآية أقوال[١٥٤]:

الأول: أن معنى قوله [فَطَوَّعَتْ لَهُ] أي: شجعّته نفسه على قتل أخيه ، أي: على أن يقتل أخاه وهذا رأي مجاهد.

الثاني: أن المراد: زينّت له نفسه قتل أخيه.

الثالث: أن المراد: ساعدته نفسه وطاوعته نفسه على قتل أخيه، وقد قال مجاهد: "لم يدر قابيل كيف يقتله حتى ظهر له إبليس في صورة طير فأخذ طيراً آخر وترك رأسه بين حجرين فشدخه ففعل قابيل مثله، وقيل: هو أول قتيل كان في الناس".

وقوله تعالى: [فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ] أي : صار ممّن خسر الدنيا والآخرة وذهب خيرهما[١٥٥].

بعد التذكير والعظة والمسالمة والتحذير من الأخ المسالم لأخيه الشرير نرى اندفاع النفس الشريرة لتقع الجريمة، وقعت وقد ذللت للقاتل نفسه كل عقبة وطوّعت له كل مانع، طوّعت له نفسه القتل،... وقتلُ مَنْ؟! قتلُ أخيه وحق عليه النذير: [فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ]... خسر نفسه فأوردها موارد الهلاك ، وخسر أخاه ففقد الناصر والرّفيق.. وخسر دنياه فما تهنأ للقاتل حياة.. وخسر آخرته فباء بإثمه الأول وإثمه الأخير، ومثلت له سوأة الجريمة في صورتها الحسيّة.. صورة الجثة التي فارقتها الحياة وباتت لحماً يسري فيه العفن، فهو سوأة لا تطيقها النفوس.

وشاءت حكمة الله أن تقفه أمام عجزه–وهو القاتل الباطش الفاتك، عن أن يواري سوأة أخيه، عجزه عن أن يكون كالغراب في أمة الطير[١٥٦]: [فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ

يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ].

قيل: إنَّ قابيل لمّا قتل هابيل ندم فضمه إليه حتى أرْوَحَ، وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر حتى يُرمى به فتأكله، وكره أن يأتي به آدم (عليه السلام) فيحزنه، وتحيّر في أمره إذ كان أول ميت من بني آدم، فبعث الله غرابين قتل أحدهما الآخر وهو ينظر إليه ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكّن له، ثم دمغه برأسه حتى ألقاه في الحفرة ثم بحث عليه برجله حتى واراه فقال قابيل [يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ] أي: أعجزتُ أن اهتدي إلى مثل ما اهتدى الغراب إليه [فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي]، فأصبح قابيل من النادمين على قتل هابيل لإمور[١٥٧]:

الأول: أنه فكر في أنَّ قتل أخيه كان على أخذ أُخته وكان يمكنه أن يمتنع عن تسليمها له بدون القتل ويفرّ إلى محل لا يستولي عليه أبوه.

الثاني: الاستحياء والإنفعال إذا بقي عند أبيه وأمه وألم الغربة والكربة وفراقهما وفراق العائلة إذا ذهب إلى محل بعيد.

الثالث: هياج الغريزة والمحبة الأخويّة على نفسه وتأثره بالحادثة الرهيبة.

الرابع: حدوث الحيرة له وظهور نقصان عقله من أخس الطيور وهو الغراب وكفى بذلك موجياً للندم،وهذا الندم الذي اختلج نفس القاتل لم يكن ندم التوبة–وإلاّ لقبل الله توبته–وإنّما كان الندم الناشئ من عدم جدوى فعلته وما أعقبته له من تعب وعناء وقلق[١٥٨].

الدروس والعبر

بعد أن شارف هذا البحث على الانتهاء نستطيع أن نوجز ما دار من أحداثٍ ضمن القصة وأهم شخصياتها، ونستخلص الدروس والعبر من هذه القصة. لاحظنا أنَّ بناء الحدث في هذه الحكاية يأخذ تسلسله الزمني إذ يبدأ بواقعة تقديم القربان مروراً بواقعة القتل وانتهاءً بواقعة الدفن. والحكاية ينتظمها بطلان أساسيان هما: قابيل وهابيل كما أنَّ هناك بطلين حيوانيين ثانويين هما: الغرابان اللذان اقتتلا فيما بينهما ووارى أحدهما صاحبه بعد القتل.

والمتمعن للنص القرآني يجد أنه قد اختزل بعض تفصيلات الحدث وأبرز بعضاً آخر منها. وهذا الاختزال تارةً وإبراز الحدث تارةً أخرى ينطوي على أسرارٍ فنيّة ونفسيّة تظل على صلة بطبيعة الأفكار التي يستهدف النص طرحها أمام المتلقّي[١٥٩].

كما أنّه ترك المتلقي أمام إمكانات متعددة ليكشف بنفسه ما وراء الأحداث من دلالة ومعنى، أضف إلى ذلك أنَّ الإمتاع الجمالي– وهذا هو الفارق بين النص الفني والنص العادي– إنّما يتضخّم بقدر ما تُفتح أمام القارئ أو المستمع أو المشاهد من إمكانات الكشف بنفسه، لا أن تقدم له التفصيلات فيما يقلّل من فرص اللذّة التي يحقّقها الكشف.

فمما اختزله النص ذكر واقعة تقديم القربان دون ذكر أسباب ذلك متجّهاً مباشرة إلى إبراز قضية القربان ، والسبب في ذلك أن القرآن الكريم يستهدف إبراز ظاهرة نقاء الأعماق أو عدمه ، أو لنقل: انسياقاً مع جواب هابيل : التقوى وعدمها من خلال جزئيّة سلوكيّة ذكرها المفسرون من أنّها تتمثّل في تقديم هابيل أغلى وأعز شيء كان يملكه وهو الكبش بينما قدّم قابيل ضغثاً من سنبل، وليس المهم في النص تحديد النوع (أي نوع القربان) بل المهم تحديد السلوك، حيث أومى النص للمتلقي بأنَّ قابيل لم يصدر تصرّفه عن سلوكٍ نظيف متّسق مع مبادئ السماء، بل انصاع لإشباع رغباته الذاتية، وقد حدّد النص هذا السلوك بنحوٍ مجملٍ أولاً حيث أوضحه على لسان هابيل بأنَّ الله يتقّبل من المتّقين. وهنالك اختزال آخر في النص حيث يتحدّث النص عن القتل دون الحديث عن تفصيلاته التي أسهبَ المفسّرون في ذكرها، والمتمعّن في النص يدرك جيداً أنَّ قابيل يمثّل الشخصيّة العدوانيّة الحاسدة والدليل على ذلك قوله: [لَأَقْتُلَنَّكَ] وهذا مؤشر على أنَّ القتل ناجمٌ عن الحسد، وهذه الصفة (أي الحسد) لم تُذكر على لسان قابيل، ولم ترد على لسان هابيل أيضاً بل تُركت للقارئ يستخلصها بنفسه[١٦٠].

وخارجاً عن جماليّة النص– الذي يكمن في انطوائه على إمكانات تدع القارئ يكتشفها بنفسه– فإنَّ ما يستخلصه القارئ يظلّ هو الهدف الرئيس وراء القصة ، والهدف في هذا المقام يتمثّل في قضية الحسد وما ينطوي عليه من مفارقات حتى أنّه يستجرُّ الشخصيّة إلى الإقدام على عمليّة قتل للنفس الإنسانيّة.

وفي مقابل تلك الاختزالات التي تحدّثنا عنها نجد النص قد أبرز عمليّة المواراة أو الدفن فيما يتصل بالغراب الذي بحث في الأرض في حين اختزال واقعة الاقتتال الذي جرى بين الغرابين واختزل أيضاً واقعة المواراة لجثة هابيل. ويمكن أن نعلّل ذلك بأنَّه ليس من المهم سرد قصّة مفصّلة عن قتال دائر بين غرابين بل المهم تعلّم الدّفن ومواراة الموتى حتى لا تتأذى الأبصار ببشاعة الجسد الميّت ولا تتأذّى الأنوف برائحته المنتنة، وفي نهاية المطاف يستخلص القارئ أنَّ قابيل قد وارى أخاه التراب بعد أن تعلّم من الغراب كيفيّة الدّفن.

وبعد هذا كله يمكن أن نستخلص الدروس والعبر الآتية من القصة[١٦١]:

١- لا بُدَّ أن يكون حب الله تعالى في أعلى مستوى وفوق كل شيء، وعليه لا بُدَّ من إظهار هذا الحب إذا استدعى الأمر بأبهى صورة، فالقربان الذي قدّمه (هابيل) كان انعكاساً لصورة حبه لله تعالى من خلال تقديمه أغلى وأعزّ شيء يملكه وهو (الكبش) في حين قدّم (قابيل) ضغثاً من سنبل وهذا يمثّل انعكاساً للوضعية المأزقية التي يعيشها في داخله. والخلاصة: مشروعية التقرّب إلى الله تعالى بما يحب أن يُتقّرب به إليه تعالى.

٢- عظم جريمة الحسد وما يترتّب عليها من آثار سيئة، فـ(قابيل) في القصة لم يقتل أخاه من أجل الصراع على البقاء كما يزعم المذهب الداروينى ولا من أجل الحصول على بنت أجمل كما يزعم المذهب الفرويدي ولا من أجل سوء التربية وضغوط الاجتماع أو الصراع الطبقي ممّا تزعمها المذاهب الاجتماعية المختلفة، ولكنه قتله لحب الاستعلاء والحسد.

٣- على الإنسان أن يكون مسالماً بعيداً عن مظاهر العنف والقتل والعدوانيّة وأن يجنّب نفسه والآخرين الوقوع في دائرة العنف، وأن يفكر مسبقاً قبل الإقدام على أي عمل عدواني ما هي نتائجه؟ وما الذي سيحصده جرّاء هذا العمل؟ فالابتعاد عن العنف يوفر النجاة والهدوء ويخلق- مجتمعاً آمناً مسالماً يسوده الاستقرار، أما اللجوء إلى العنف والعدوانية فلا تنتج عنه إلاّ المآسي والويلات وتسود البغضاء والحقد والكراهية.

٤- لا بُدَّ للإنسان أن يتصرّف بشكلٍ متزّنٍ وأكثر عقلانية لإنّه الكائن المكرّم من الله تعالى ولأنّه يملك تقدير مصيره فلا يضع نفسه موضعاً يكون الحيوان فيه أفضل منه.

الخاتمة:

انتهى هذا البحث إلى ما يأتي:

١- الحسد طبيعة بشريّة لا يقف تأثيرها في حدود الغيب – كما يتوهمّ أكثر الناس–بل تتخطّاه في كل القرآن إلى الحس وتدفع أصحابه إلى الفعل الشرير بدون تردد وبلا مسوّغ، والنص القرآني الكريم في سرده لقصة ابني آدم أبرز ظاهرة القتل بوصفها واحدة من نتائج الحسد.

٢- ليس في الإسلام آية قرآنية ولا حديث نبوي صحيح يذكر اسمي ابني آدم صراحة.

٣- لا بُدَّ للحق من قوةٍ تحميه من شرور المعتدين وتتعهّد لحملته بالحراسة لإنّهم الأجدر بالحياة.

٤- قبول الأعمال الصالحة يتوقف على الإخلاص فيها لله تعالى.

٥- بيان أول من سَنَّ جريمة القتل وهو (قابيل) ولذا ورد: ما من نفس تُقتل ظلماً إلاّ كان على على ابن آدم الأول كفلٌ (نصيب) من دمها ذلك بأنه أوّل من سَنَّ القتل.

٦- مشروعيّة الدفن وبيان زمنه.

٧- خير ابني آدم المقتول ظلماً وشرّهما القاتل ظلماً.

٨- توافقت- إلى حدٍ ما- دلالة الكلمات معجمياً وسياقياً في النص الكريم.

٩- كان للقراءات القرآنية في النص الكريم أثرٌ بَيِّنٌ خاصة في (طوّعت) و(طاوعت) إذ أرتنا قراءة الجمهور كيف تسوّغ النفس الشريرة لصاحبها الإقدام على فعل الشر مهما كان فظيعاً في حين تكشف قراءة (طاوعت) عن صراعٍ دار في نفس القاتل فيما إذا كان يقدم على فعلته أم لا.

١٠- كان للتراكيب النحويّة في النص الكريم أثرٌ كبيرٌ في إبراز المعنى وتجسيده مثل وقوع جملة فعل الشرط فعليّة للدلالة على أنَّ الأمر طارئ على قابيل بدافع الحسد، وإسميّة في الجواب لإفادة دوام انتفاء ذلك الخاطر في نفس هابيل فضلاً عن القيام به.

١١- وظّفت الآيات الكريمة الصيغ الصرفيّة في أداء ما تهدف إليه توظيفاً جاء الغاية في بابها فمن ذلك أنه سبحانه بنى الفعل (تقبّل) للمجهول لإفادة معنى العموم فكأنَّ العمل لا يبدو مقبولاً عند الله ولا عند الخلق إلاّ إذا كان نابعاً عن صدق وإخلاص نيّة، ولما كان المقصود الأساس في عمل أهل الحق وجه الله جاء الفعل معلوماً على لسان التقي من ابنَي آدم بقوله: [إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ] إذ لا اعتبار في نفوسهم لغيره-سبحانه- قبلوا أم رفضوا.

-١٢

الهوامشُ المصادر:

---

[١] قصص القرآن الكريم – دلاليّاً وجمالياً – : ١٦٦/١.

[٢] يُنظر : صفوة التفاسير : ٢٩٥/١ .

[٣] في ظلال القرآن : ٨٧٤/٦ – ٨٧٥ .

[٤] فتح القدير : ٣٢/٢ .

[٥] يُنظر : الجامع لإحكام القرآن : ٤٩٧/٣ .

[٦] يُنظر : الكتاب المقدس (أي كتب العهد القديم والعهد الجديد) : الاصحاح الرابع /٧ .

[٧] صحيح مسلم : ٦٩٤ .

[٨] ينظر : في ظلال القرآن : ٨٧٥/٦ .

[٩] ينظر: تهذيب اللغة : ٣١٨/١٤، لسان العرب : ٤٨/٢ (تلا).

[١٠] ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٨٠.

[١١] ينظر: الصحاح : ٧٤/١ ، لسان العرب، ٨/١٤ – ٩ (نبأ)، القاموس المحيط: ٦٢–٦٣.

[١٢] ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٥٠٣– ٥٠٤ .

[١٣] المفردات في غريب القرآن: ٨٠.

[١٤] ينظر: تهذيب اللغة: ٢١٥/١٤ ، لسان العرب : ٩٧/١ (آدم) .

[١٥] ينظر: الصحاح ١٩٨/١.

[١٦] ينظر : تهذيب اللغة ١٢٤/٩ ، لسان العرب : ٨٢/١١ – ٨٣ (قرب) .

[١٧] ينظر : المفردات في غريب القرآن ٤١٥ – ٤١٦ ، القاموس المحيط ١٢٧ .

[١٨] تهذيب اللغة : ٣٤٤/١٢ .

[١٩] ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٥١ ، لسان العرب : ٤٠٨/١ – ٤٠٩ (بسط) .

[٢٠] لسان العرب : ٤٠٩/١ (بسط) .

[٢١] ينظر : تهذيب اللغة : ٥٩٦/١٥ ، القاموس المحيط /٤٦ .

[٢٢] لسان العرب : ٥٢٩/١ (باء) .

[٢٣] ينظر : روح المعاني ٢٨٣/٦ .

[٢٤] ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٣٢٢ .

[٢٥] ينظر : تهذيب اللغة : ١٠٣/٣ – ١٠٥ ، لسان العرب : ٢١٩/٨ – ٢٢٠ (طوع) .

[٢٦] ينظر : تهذيب اللغة : ٣٠٤/١٥ ، المفردات في غريب القرآن : ٥٤٤ .

[٢٧] لسان العرب : ١٥/ ٢٨٣ (وري) .

[٢٨] ينظر : الصحاح : ٢٥٢٣/٦ ، لسان العرب : ٢٨٣/١٥ (وري) .

[٢٩] ينظر : تهذيب اللغة : ١٠٣/١٢ – ١٣٣ (بتصرف) ، لسان العرب : ٤١٦/٦ – ٤١٧ (سَوَأ) .

[٣٠] ينظر : الصحاح : ٥٥/١ – ٥٦ ، القاموس المحيط : ٥٤ .

[٣١] معاني النحو ٢٢٩/١ .

[٣٢] ينظر : تفسير الكشاف ٥٧/١ ، تفسير النسفي ٤٥ .

[٣٣] ينظر : الكشاف ١٢/١ ، تفسير النسفي ١٢ .

[٣٤] جامع الدروس العربيّة ٩٤/١ .

[٣٥] ينظر : معاني النحو ٨٤/١ .

[٣٦] معاني النحو ١٠٢/٣ .

[٣٧] معاني النحو ١٠٧/٣ .

[٣٨] ينظر : البحر المحيط ٢٨/١ .

[٣٩] للوقوف بشكل مفصّل على هذه المسألة ينظر : الجنى الداني ١٨٥ – ١٩٢ .

[٤٠] ينظر : رصف المباني ٣٧٢ .

[٤١] معاني الحروف ١١٥ .

[٤٢] معاني النحو ٢٦٢/١ .

[٤٣] حديث نبوي تتمته : (وخير الخطائين التوابون) سنن الترمذي/ رقم الحديث ٢٤٢٣ .

[٤٤] الجنى الداني ٢٠٧ .

[٤٥] ينظر : الجنى الداني ٢١٥ – ٢٢٧ .

[٤٦] ينظر : رصف المباني ٣٢٢ – ٣٢٦ .

[٤٧] معاني الحروف ٩٢ .

[٤٨] شرح المفصّل لابن يعيش ٣/٧ .

[٤٩] يذهب الكوفيون إلى أنَّ الفعل الدائم هو القسم الثالث وليس فعل الأمر لأنه في أصله مضارع ، ينظر : المدارس النحوية ، د. خديجة الحديثي ٩٨ .

[٥٠] الممتع في التصريف ١١٥ ، التطبيق الصرفي ٢٥ ، الصرف الكافي : ٢٩ – ٣٣ .

[٥١] الممتع في التصريف ١١٥ .

[٥٢] تصريف الفعل ٥١ .

[٥٣] ينظر : التطبيق الصرفي ٢٢.

[٥٤] يُنظر : شذا العرف في فن الصرف ٣١ – ٣٢.

[٥٥] يُنظر : المصدر نفسه :٣١ – ٣٢.

[٥٦] يُنظر : المصدر نفسه: ٣١.

[٥٧] التطبيق الصرفي٣٤.

[٥٨] شذا العرف في فن الصرف ٣١ .

[٥٩] التطبيق الصرفي ٢٥ .

[٦٠] المنصف ٧١ .

[٦١] ينظر : تصريف الفعل: ٤٥ – ٤٦ ، الصرف الكافي: ٣٠ ، الصرف والنظام اللغوي: ٥٢٠٥١.

[٦٢] ينظر : شرح النظاّم : ٥٣ ، أوزان الفعل ومعانيها : ٥٦ – ٧٣ .

[٦٣] ينظر : تاج العروس ١٢١/٨ – ١٢٢ .

[٦٤] البحر المحيط ٤٧٩/٣ .

[٦٥] روح المعاني ٢٨٦/٦ ، وينظر : التبيان في تفسير القرآن ٢٩٧/٥ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٨/٣ .

[٦٦] روح المعاني ٢٨٧/٦ .

[٦٧] التسهيل في شرح ابن عقيل ٤٠/٢ .

[٦٨] ينظر : شرح النظّام ٥٤ ، أوزان الفعل ومعانيها ٨٣٠٧٤ ، شذا العرف في فن الصرف ٢٩ – ٣٠ .

[٦٩] المفردات في غريب القرآن ٤١٦ .

[٧٠] البحر المحيط ٤٧٩/٣ .

[٧١] ينظر : تهذيب اللغة ٣٠٤/١٥ .

[٧٢] ينظر : أوزان الفعل ومعانيها ٩٤ – ١٠٠ ، التطبيق الصرفي ٣٧ .

[٧٣] ينظر : الكشاف ٢٨٦/١ ، فتح القدير ٤٦/٢ .

[٧٤] مختصر الصرف ٨٧ .

[٧٥] ينظر : تصريف الفعل ٣٠ – ٣٢ ، الصرف الكافي ٤٣ – ٤٤ ، التطبيق الصرفي ٢٢ – ٢٣.

[٧٦] مختصر الصرف ٨٧ .

[٧٧] ينظر : تصريف الفعل ٣٢ – ٣٦ ، البسيط في علم الصرف ٢٠ – ٢١ .

[٧٨] ينظر : الصرف والنظام اللغوي ٢٩ .

[٧٩] الكافية في النحو ١٩٨/٢ .

[٨٠] ينظر : مراح الأرواح في الصرف ٦٧ ، معاني الأبنية في العربية ٤٦ .

[٨١] ينظر : الكافية في النحو ١٩٨/٢ ، شذا العرف في فن الصرف ٥٥ .

[٨٢] ينظر : شذا العرف في فن الصرف ٥٥ .

[٨٣] الكشاف ٢٣/٢ .

[٨٤] جامع الدروس العربية ١٢/١ .

[٨٥] ينظر : التطبيق الصرفي ٦٤ ، المدخل الصرفي ١٠٣ .

[٨٦] ينظر : المدخل الصرفي : ١٠٣ – ١١٠ .

[٨٧] ينظر : شذا العرف في فن الصرف ٦٧ .

[٨٨] الكتاب ٨/٤ .

[٨٩] شذا العرف في فن الصرف ٦٦ .

[٩٠] ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٢٣/٢ .

[٩١] ينظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٣٤٣/١ .

[٩٢] ينظر : روح المعاني ٢٨٢/٦ .

[٩٣] ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٢٣/٢ .

[٩٤] ينظر : التبيان في إعراب القرآن ٣٤٣/١ .

[٩٥] ينظر : الكشاف ٢٨٦/١ ، إرشاد العقل السليم في مزايا الكتاب الكريم ٢٦/٣ .

[٩٦] البحر المحيط ٤٦١/٣ .

[٩٧] ينظر : بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز ٥٨/٣ .

[٩٨] الكشاف ٢٨٦/١ .

[٩٩] لم يكن أبو حيان موفّقاً في إيراده للنص القرآني دليلاً على ما ذهب إليه، فحديثه عن مجيء جواب الشرط منفياً بـ(ما) مقترناً بالفاء ودليله القرآني يخلو من الفاء في الجواب.

[١٠٠] البحر المحيط ٤٦٢/٣ .

[١٠١] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٧/٣ .

[١٠٢] معاني الأبنية في العربية ١٣ .

[١٠٣] الجملة العربية – تأليفها وأقسامها – ١٨٥ .

[١٠٤] الكشاف ٢٨٧/١ .

[١٠٥] البحر المحيط ٤٦٧/٣.

[١٠٦] إعراب القراءات الشواذ ٤٣٤/١ .

[١٠٧] إعراب القراءات الشواذ ٤٣٤/١ .

[١٠٨] ينظر : إعراب القراءات الشواذ ٤٣٤/١ ، البحر المحيط ٤٦١/٣ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٦/٣ .

[١٠٩] جاء في (الجنى الداني) /١٤١ : والتوكيد بالثقيلة أشد قاله الخليل ، ومذهب الكوفيين أنَّ الخفيفة فرع الثقيلة .

[١١٠] التذكرة في القراءات ٣٨٦/٢ .

[١١١] ينظر : مختصر ابن خالويه ٣٢ .

[١١٢] جاء في البحر المحيط ٤٦٢/٣ : قال ابن عباس : المعنى : وما أنا بمنتصر لنفسي، وقال عكرمة: المعنى: ما كنت لابتدئك بالقتل.

[١١٣] ينظر : السبعة في القراءات ٢٥٠ ، الوجيز في تفسير القرآن العزيز ٣٧٦/١ .

[١١٤] ينظر : السبعة في القراءات ٢٥٠ ، التذكرة في القراءات ٣٩٣/٢ .

[١١٥] ينظر : اتحاف فضلاء البشر ٢٥٢ .

[١١٦] ينظر : التذكرة في القراءات ٣٩٣/٢ .

[١١٧] وهي قراءة طلحة بن مصرف وطلحة بن سليمان والفياض بن غزوان، ينظر: المحتسب ٢٠٩/١، البحر المحيط ٤٦٧/٣ .

[١١٨] ينظر : الكشاف ٢٨٧/١ ، البحر المحيط ٤٦٧/٣ .

[١١٩] في المحتسب ١٢٥/١ : وأصل السكون في هذا إنّما هو للألف لأنها لا تحرّك أبداً .. ثم شُبهّت الياء بالألف لقربها .

[١٢٠] ينظر : الكشاف ٢٨٧/١ ، البحر المحيط ٤٦٧/٣ .

[١٢١] ينظر : البحر المحيط ٤٦٧/٣ .

[١٢٢] هذا قول ابن عباس ، البحر المحيط ٤٦٤/٣ .

[١٢٣] هذا قول ابن عباس ومجاهد ، البحر المحيط ٤٦٤/٣ .

[١٢٤] البحر المحيط ٤٦٤/٣ .

[١٢٥] المصدر نفسه ٤٦٤/٣ .

[١٢٦] المصدر نفسه٤٦٤/٣ .

[١٢٧] الكشاف ٢٨٦/١ .

[١٢٨] البحر المحيط ٤٦٤/٣ .

[١٢٩] ينظر : الكشاف ٢٨٦/١ ، مسائل النحو والصرف في تفسير البحر المحيط ٤٧٢/٣ .

[١٣٠] ينظر : البحر المحيط ٤٦٦/٣ .

[١٣١] ينظر : شواذ ابن خالويه ٣٢ .

[١٣٢] ينظر : اتحاف فضلاء البشر ٢٠٠ .

[١٣٣] ينظر : شواذ القراءات ١٥٣ .

[١٣٤] شواذ ابن خالويه ٣٢ ، البحر المحيط ٤٦٧/٣ .

[١٣٥] هي لغة شاذة في إعراب القرآن للنحاس ٤٩٤/١ إذ يقول أبو جعفر : " وهذه لغة شاذة إنّما يقال : عجزت المرأة إذا عظمت عجيزتها ، وعَجزتُ عن الشيء أعجِز عجْزاً ومعجزة ومعجِزَة " ، ويوافقه في رأيه هذا القرطبي في تفسيره ١٤٥/٦ ، وصاحبَ البحر المحيط ٤٦٧/٣ .

[١٣٦] لأنَّ الكسر مشهور في قولنا : عجِزت المرأة إذا كبرت عجيزتها ، ينظر : البحر المحيط ٤٦٧/٣ .

[١٣٧] ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٢٩٠/٥ ، البحر المحيط ٤٦٠/٣ ، صفوة التفاسير ٣٠٩/١ .

[١٣٨] ينظر : تفسير الطبري ٢٢٤/٦ ، في ظلال القرآن ٨٧٥/٦ ، صفوة التفاسير ٣٠٩/١ .

[١٣٩] ينظر : زاد المسير ٣١٥ ، الجامع لأحكام القرآن ٤٩٧/٦ ، فتح القدير ٣٢/٢ .

[١٤٠] ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٢٩٠/٥ ، فتح القدير ٣٢/٢ .

[١٤١] ينظر : زاد المسير ٣١٥ .

[١٤٢] ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ١٣٤/٢ .

[١٤٣] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١٧٨/٢ .

[١٤٤] صفوة التفاسير ٢٨٦/١ ، وينظر : تفسير ابن جُزَيّ ١٥١ .

[١٤٥] ينظر : الكشاف ٢٨٦/١ .

[١٤٦] ينظر : البحر المحيط ٤٦٢/٣ .

[١٤٧] ينظر : الكشاف ٢٨٦/١ ، البحر المحيط ٤٦٢/٣ .

[١٤٨] تفسير الطبري ٢٣١/٦ ، وينظر : زاد المسير ٣١٦ ، في ظلال القرآن ٨٧٦/٦ .

[١٤٩] ينظر : في ظلال القرآن ٨٧٦/٦ .

[١٥٠] صحيح مسلم : ١٠٤٢ .

[١٥١] تفسير ابن جُزّي ١٥١– ١٥٢، وينظر: مجمع البيان ٣٧٠/٣– ٣٧١، صفوة التفاسير ٣٠٩/١.

[١٥٢] الجامع لأحكام القرآن ٥٠١/٦ .

[١٥٣] ينظر : في ظلال القرآن ٨٧٦/٦ .

[١٥٤] ينظر : مجمع البيان ٣٧١/٣ ، روح المعاني ٢٨٥/٦ – ٢٨٦ .

[١٥٥] ينظر: مجمع البيان ٣٧١/٣، فتح القدير ٣٤/٢ .

[١٥٦] ينظر: في ظلال القرآن ٨٧٦/٦–٨٧٧ .

[١٥٧] مواهب الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ عبد الكريم المدرّس٣/١٣٦–١٣٧، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/٥٠٤ – ٥٠٦.

[١٥٨] ينظر: في ظلال القرآن ٦/٨٧٧.

[١٥٩] ينظر: قصص القرآن الكريم– دلاليّاً وجماليّاً – /١٦٩ .

[١٦٠] ينظر: قصص القرآن الكريم–دلاليّاً وجماليّاً–/١٦٦– ١٧٣، من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرّسي ٢/٣٥٢ – ٣٥٧ .

[١٦١] ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ١/٦٢١، قصص الأنبياء–دروس وعبر– الشيخ فاضل الفراتي ١٧–١٨، اسرائيليات القرآن ، محمد جواد مغنية ١٦٦، من هدى القرآن ٢/٣٥٢– ٣٥٧ .

The story of Adam sons (linguistic study)

almudris : muhammad husayn eali

Karbala University - Faculty of Education

Abstract:

This research highlights on one of stories of holly Quran (story of Adam sons) , this story is mensioned in the Quranic verses number : 27- 31 , in Surah Almaada , this study is divided in to : dictionary of story , linguistic things , morphology things , grammatical things , Quran readings , story general meanings , lessons and moral , and finally conclusions includes the most important results that I have obtained.